

رابطة العلماء السوريين



(<https://islamsyria.com>)

الأحد 7 جمادى الآخرة 1443 - 9 يناير 2022 📅



(<https://www.facebook.com/islamsyria1>) / (<https://twitter.com/islamsyria1>) / (<https://www.youtube.com/channel/UC1sGm5vU1h3gmsy1h3h1s1s1>) / (<https://www.instagram.com/islamsyria1>)

الرئيسية 🏠 / التراجع (<https://islamsyria.com/site/cvs>) / الشيخ عبد الحميد طهماز

الشيخ عبد الحميد طهماز

الأحد 24 جمادى الآخرة 1434 - 5 مايو 2013 📅



شذرات في ترجمة فقيه العلم الشيخ : عبد الحميد طهماز رحمه الله

بقلم : يحيى محمد الغيفي

أضحت بلاد الشام موطأة الأكناف بما أولاهها به الصحابة الفاتحون من عناية بالغة، ورعاية سابعة في ظل الإسلام، وازدهرت النهضة العلمية فيها أيما ازدهار بما نطقت به كتب التاريخ والتراجم والطبقات؛ وقد ظلت محافظة على أخذ العلم وبذله طيلة عهود النهضة العلمية المباركة إلى عصرنا الحاضر؛ لعل من أبرزها ما عاشته القرن المنصرم من وثبة تجديدية في علوم شتى دونما اقتصار على فن دون بعينه؛ كالقراءات والتفسير والفقه والحديث وعلوم اللغة العربية وغير ذلك؛ متجاوزة تلك الفنون فيما بينها، مع تلاقح مثمر بين مدارسها، ولم تكن حماة خلواً من تلك النهضة العلمية؛ فكم ضربت فيها من سهم !

فمن العلماء المبرزين فيها؛ العلامة الفقيه الشيخ : أحمد بن محمد سليم المراد الكردي الحنفي (1299 هـ - 1379 هـ) عميد عائلة آل المراد ومُصَدِّرهم وأمين الفتوى في حماة .

ومنهم العلامة المعمر الفقيه : الشيخ محمد سعيد النعسان، الشهير بالوردية، الشافعي ثم الحنفي (1276 هـ - 1386 هـ) المقدم في فقهاؤها، ومعتلي عرش الفتوى فيها، والذي عمّر حتى جاوز المائة بعشر سنين .

ومنهم شيخ مشايخنا المقرئ المتقن الصالح البصير، نوري بن أسعد الشحنة (ت 1369 هـ) أستاذ القراءات في دار العلوم الإسلامية، وشيخ قراء حماة .

ومنهم العلامة الفقيه المتضلع، المشارك المربي، شيخ مشايخنا : محمد بن محمود الحامد، الحنفي (1328 هـ - 1389 هـ) مجدد نهضة حماة العلمية، وصاحب المدرسة الذائعة الصيت، والتي آتت ثمارها في العالم الإسلامي عن طريق تلاميذه المخلصين .

ومنهم العلامة الفقيه المعمر، شيخ مشايخنا، الشيخ : محمد توفيق بن عباس الصباغ، الشيرازي الشافعي (1292 هـ - 1391 هـ) .

ومنهم الشيخ العلامة الفقيه : خالد الشقفة الشافعي (ت 1398 هـ) صاحب كتاب الدراسات الفقهية على مذهب الشافعي، أحد كتب الشافعية المعتمدة في هذا العصر . وقد رأيت شيخنا العلامة الفقيه المعمر السيد : عمر الكاف الحضرمي الشافعي حفظه الله يحتفي به كثيراً، ويصف صاحبه بالفقيه المتضلع .

ومنهم الشيخ الفقيه المربي : محمود بن عبدالرحمن الشقفة الشافعي (1317 - 1399 هـ) . وغيرهم كثير برد الله مضاجعهم، وسقاها شآبيب الرحمة والرضوان .

في هذه المراحل العلمية المباركة ولد مُتَرَجِّمُنَا الشيخ العلامة الفقيه المفسر المشارك الخطيب الداعية : عبدالحميد بن محمود بن عبدالقادر طهراز؛ وكانت ولادته سنة (1356 هـ) الموافق (1937 م) .

والشيخ من أسرة عريقة تنتشر في حمص وحلب وحماة .

كان لأسرته أثر بالغ في نشأته إلى جانب الصحوه العلمية التي عاشتها حماة آنذاك؛ حيث التحق بالكتاتيب وهو دون الخامسة من عمره، فلقن الحروف، وتعلم الكتابة بهمة وذكاء، ولما تأسست المدارس الرسمية انتسب إليها منتظماً في صفوفها متدرجاً فيها حتى أحرزها في مدة وجيزة، كان قد بلغ حينها الثامنة عشرة من عمره .

ثم سمت به همته، ونهضت به عزمته فتطلّع إلى جامعة دمشق ليكمل مسيرته العلمية فكانت رحلته إليها سنة (1955 م) حيث كانت فرنسا قد خرجت منها .

ومن الطالع السعيد لشيخنا أن كلية الشريعة في جامعة دمشق كانت قد فتحت أبوابها في السنة السابقة لتخرجه في المدارس النظامية بحماة (1954 م)؛ وكأن أبوابها ما أشرعت إلا لدخول الشيخ وأمثاله .

التحق بها شيخنا وانتظم في مقاعدها ناهلاً من علومها، مستفيداً من أساتذتها، متقدماً في مراحلها، في عزمة الأذكياء، ووثبة النجباء إلى أن تخرج فيها سنة (1959 م)؛ مع العلم بأن الشيخ ورفاقه معدودون في الفوج الثاني من خريجها .

ومن الأساتذة الذين لقن عنهم العلم فيها : المفكر الإسلامي الداعية الدكتور مصطفى السباعي؛ حيث درس عليه مادة الأحوال الشخصية .

والأستاذ العلامة : محمد المبارك حيث درس عليه مادة الثقافة الإسلامية .

والعلامة المحدث السيد : محمد المنتصر الكتاني، حيث درس عليه مادتي الحديث والنحو .

والأستاذ : صالح الأشر، والشيخ العلامة بهجة البيطار؛ كما كان من المقرر أن يدرس الشيخ علي الطنطاوي مادة السيرة النبوية؛ إلا أنه امتنع عن التدريس بعد بضعة دروس ألقاها لما وقعت له القصة المشهورة مع الطالبة التي أصرت على الحضور داخل صفوف الطلاب .

ومن أساتذته في كلية الشريعة بدمشق الأستاذ : فتحي الدريني؛ حيث أشرف على بحثه الذي قدمه سنة التخرج، بعنوان : (الشركات في الفقه الإسلامي) .

قضى شيخنا سنوات الجامعة ما بين أساتذته مستفيداً منهم، وبين حلق العلم في مساجد دمشق؛ أو في منزله يقرأ ويقيد ويبحث؛ حتى استوى على سوقه أستاذاً عالمياً، عاد بعدها إلى مسقط رأسه حماة للإفادة والتدريس .

كان اتصاله بشيخ حماة، الشيخ : محمد الحامد، وتأثره به بعد عودته من دمشق؛ على رغم معرفته السابقة به . يقول شيخنا عبدالحميد طهماز رحمه الله : (كان لشيخنا محمد الحامد مكانته العظيمة في حماة، تجلله المهابة، ويحفه الجلال، فكنت أتتهب لقاءه والجلوس معه، ولكن لما شاركنه في تصحيح أوراق اختبار الكفاءة المتوسطة، وعاشرتة عن قرب صار بيني وبينه مودة عظيمة؛ فأحبني وأحبتني، ورأيت فيه عالماً متواضعاً صاحب دعابة ومن ذلك الوقت توطدت العلاقة بيننا)، وقد شكلت صلته بالشيخ محمد الحامد منعطفاً جديداً في حياته في أوائل الستينات الميلادية، وكان لها الأثر البالغ في مسيرته العلمية والسلوكية؛ حيث لزمه سنين عدداً؛ أخذ عنه علوماً جمّة؛ من تفسير وفقه وحديث وسيرة، ويكاد يكون شيخه المفرد . فمن مقروءاته عليه كتاب " تبين الحقائق شرح كنز الدقائق " للزيلعي حيث قرأه عليه قراءة تحقيق وتدقيق، ومنها " إحياء علوم الدين للغزالي " حيث كان يقرؤه عليه في الصباح تخفيفاً لحدة الفقه، وربما امتدت القراءة إلى أربع ساعات . وقد لزم شيخه ملازمة تامة؛ فلا يكاد ينقطع عن درسه . وبلغ من جلده في أخذ العلم عنه أنه ربما انتظر خروجه عليه طويلاً في البرد الشديد؛ دون أن يثنى ذلك عزيمته . وكان شيخه يقابل جلده وصبره بالدعاء له .

ويذكر شيخنا أن عدداً من رفاقه شاركوه حضور تلك الدروس، منهم : نافع ومصطفى العلواني ، والشيخ محمد علي المراد ومحسن ومحمود الحامد .

وقد بلغت منزلته مبلغاً عظيماً عند شيخه محمد الحامد؛ ففي أحداث (1964م) والتي عصفت بحماة، وكان شيخنا آنذاك منخرطاً في حزب الإخوان، وكان قد حكم عليه مع مجموعة من رفاقه بالإعدام بعد الاعتصام المشهور الذي نظمه في جامع السلطان دفاعاً عن الإسلام والعقيدة وكان صاحب الخطبة المشهورة فيه؛ تدخل شيخه محمد الحامد فخلصه من السجن؛ بعد أن شفع له عند رئيس الجمهورية : أمين الحافظ آنذاك، وكان للشيخ كلمته النافذة عند المسؤولين، ولم يكن الدخول عليهم عادة له؛ ولكنه دخل لأجل تلميذه الذي لزمه بعدها أكثر من ذي قبل تاركاً الإخوان بطلب من شيخه .

توطدت العلاقة بين الشيخ وتلميذه بعد تلك الأحداث، وكما أخذ عنه طريقته في الفقه فإنه أخذ عنه أيضاً طريقته في السلوك، وتلقن منه الذكر، ففي عام (1964 م) كانوا في نزهة دعاهم إليها أحد أصدقاء الشيخ الحامد قرب الناعورة بعد عصر أحد الأيام، وكان في المجلس منشد يترنم بمدح النبي فاعترت الشيخ حالة شديدة انخرط في إثرها باكياً؛ فدعاه شيخه محمد الحامد وأجلسه بين يديه ولقنه الذكر .

وبلغ من شدة ثقة الشيخ الحامد بتلميذه أنه كان خليفته في درسه اليومي، ووكيله في خطبة الجمعة، وكان يثق به ثقة مطلقة، بل كان لا يصدر فتوى إلا بعد استشارته، وزبر توقيعه عليها .

وبلغ من ثقته به أنه لما توفي الشيخ الفقيه : محمد سعيد النعسان مفتي حماة عام (1386 هـ) عرض منصب الفتوى على الشيخ : محمد الحامد فامتنع ورفض رفضاً شديداً ؛ معللاً ذلك بتخرجه منه للأمر التي تصحبه من شهرة وضياح وقت؛ مع موافقته على الفتيا شريطة أن لا تكون عن طريق المنصب، وكان ذلك زهداً منه رحمه الله، واقترح عليهم أن يكون الشيخ : محمد علي المراد (ت 1421 هـ) المفتي، وأن يكون الشيخ : عبد الحميد طهماز أمين الفتوى؛ إلا أن ذلك لم يتم رغبة من الجميع في أن يليه الشيخ : محمد الحامد؛ ولكنه أصر على الرفض، وهم لجوا في الطلب؛ فبقي المنصب شاغراً إلى أن مات سنة (1389 هـ) رحم الله الجميع .

وبلغ من شدة تعلقه بشيخه ووفائه له أن أفرد ترجمته بكتاب مستقل بعنوان " العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد " .

بقي شيخنا في حماة بعد موت شيخه الحامد مفيداً سواء في مدارسها الثانوية والإعدادية ، أو في مساجدها؛ لاسيما في جامع السلطان، واستمر في عطائه إلى مطلع هذا القرن حيث هاجر إلى بلاد الحرمين عام 1400 هـ فاراً بدينه؛ صابراً على مفارقة دياره، محتسباً في ذلك الأجر . والمؤمن كالغيث حيث حل نفع؛ فقد حظيت به بلادنا معلماً في معاهدها؛ حيث درس في معهد تعليم اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود ثلاث سنوات، ثم انتقل بعدها إلى المعهد العلمي في المدينة المنورة سنتين وبضعة أشهر، ثم انتقل بعدها إلى المعهد العلمي في نجران سنتين وبضعة أشهر، ثم استقر بمكة المكرمة في معهد الأئمة والدعاة في رابطة العالم الإسلامي حتى تقاعد منه سنة (1416 هـ) وبقي في مكة المكرمة إلى قبيل عام؛ حيث انتقل إلى الرياض عند ابنه السيد محمد .

ومن الجوانب المهمة في سيرة شيخنا -إلى جانب الفتيا والتدريس- عنايته بالتأليف، فقد أولاه اهتماماً بالغاً حيث أثرى المكتبة الإسلامية بكثير من المؤلفات الماتعة، التي سلك في أكثرها أسلوب التجديد في طريقة التأليف من أشهرها : تفسيره الكامل للقرآن والذي سبكه في قالب التفسير الموضوعي؛ حيث يدير تفسير السورة في كاملها على أشهر موضوع ارتكزت عليه، ومنها كتابه الماتع التجديدي : الفقه الحنفي في ثوبه الجديد، والذي سهل فيه الفقه بطريقة تلائم أهل العصر، وقد ترجم إلى اللغة البوسنية والفارسية والبنغالية، كما استؤذن الشيخ في أن يترجم إلى اللغتين الإندونيسية والصينية . ومنها كتابه في السيرة النبوية والذي نسجه في ضوء آيات القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وغير ذلك من المؤلفات .

عرض عليه بأخرة منصب الفتيا بحماة لكنه استعفى منه مؤثراً البقاء في جوار الحرمين الشريفين . هذا وقد فجع المسلمون بموت عالمننا الجليل : عبدالحميد طهماز؛ حيث انتقل إلى رحمة الله ورضوانه فجأة قبيل الساعة الثانية عشرة من ليلة السبت منتصف شهر صفر من عام 1431 هـ في مدينة الرياض . فيكون قد عاش خمسة وسبعين عاماً؛ ما بين تلميذ ذكي يستحث خطاه لنيل العلم في الكتابات والمدارس والجامعة، أو في حلق العلماء، وخطيب مصقع اهتزت له أعواد منابر حماة، وأستاذ جليل يبذل العلم كما بذل له، ويتهب كبار المفتين من إصدار الفتوى دون خاتمه . رحمه الله رحمة الأبرار، وجعل مثواه في عليين .

سِرِّ نَحْوِ الْعُلَا

أزجني هذه الأبيات على استحياء في رثاء شيخنا العلامة المفسر، الفقيه المتضلع : عبدالحميد بن محمود طهماز الحموي رحمه الله؛ بعد أن فجعنا بموته ليلة النصف من صفر صبيحة السبت من عام 1431 هـ ؛ نفثة مفجوع، وأتة موجوع، سائلاً المولى جل وعلا أن يرحمه رحمة الأبرار، وينزله منازل الشهداء الأخير .

جاد القريض فسال فيض معاني وهمي القصيد بمرسلات بيان
لما أتى نعي الإمام فهزنا خبر تخر له عرى الأركان
صرخت بنعي الشيخ صرخة واله عبدالحميد مضى بغير تواني
عبدالحميد اليوم فارق دارنا ورقت به الأملاك للرحمن
رفقاً أليل الفاجعات بأنفسٍ قد مسها قرح كطعن سنان
فالصدر مكلوم الحشاشة مُفَجَّعٌ والقلب رتل نغمة الأشجان
والنفس أسفة يقرعها الجوى من فقده والروح في أحزان
وتسربلت نفسي بسربال الأسى وتقرحت من وجدها العينان
ناداك صوت الحق يا طهماز سر نحو العلا في جنة الرضوان
فأجبت داعيه ولبيت النداء لتعيش في الأخرى بعمر ثاني
حفتك أملاك السماوات العلا وسمت بروحك في نعيم جنان
وبكتك يا طهماز مقلّة مدنفٍ ونعاك في الغبراء كل لسان
ورثتك في العلماء محبرة وقرّ طاس تضحك منك بالإيمان
طوبى قرب العالمين ضمينكم فلتهنك العقبي بخير ضمان
ما كنت إلا تالياً لكتابه مستخلصاً منه بديع معاني
أو صابراً يرجو جبيرة كسره أو سابحاً في الذكر والقرآن
العلم ضيم اليوم في أستاذِه فطوى صحائفه بغير أوانٍ

فالفقه والتفسير يبكي أسطراً دبجتها بالبحث والإتقان
فلكم زبرت من القرآن بصيرةً ولكم سبكت هداه في إمعانٍ
وأبو حنيفة قد أتيت لفقهه فنظمته كقلائد العقيان
وكسوته ثوباً جديداً فازدهى متبختراً يزهو على الأقران
وأتيت في زمن اللئام فكنت من أهل الوفاء وصانعي العرفان
فالحامد الحبر الإمام نشرته طيباً فذاع شذاه كالريحان
فرسمت للإخلاص أبداع صورةٍ لله ما أسديت من إحسانٍ
نبئك نحن وتضحك الحور التي ترنو إليك بمقلتي ولهانٍ
قد سرها لماً ثويت بجنةٍ وعرفتها من غير ما نكرانٍ
فتسابقت جذلي للقاء خلها وشدت له من طيب الأبحان
فرايت ما قررتة بمحابرٍ في جنة الفردوس رأي عيانٍ
وحللت فيها نعم دار مقامةٍ فأسعد بها في غبطة وأمانٍ
حقّت برمسة رحمة منشورةٍ وسقّت ثراك سحائب الغفران
ولسوف تشرق في سماء علومنا كالشمس تسطع في علا الأكوان

